المحاضرة السادسة

الاشتقاق

مفهوم الاشتقاق:

الاشتقاق هو توليد الألفاظ بعضها من بعض، فهو من وسائل تنمية اللغة، ولا يكون ذلك إلا بين الألفاظ التي يفترض أن بينها أصلا واحدا ترجع إليه وتتولد منه، وقد عرفه **السيوطي** في قوله: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة؛ كضارب من ضَرب وحذِر من حذَر»[1] (المزهر). ولكي يصح الاشتقاق بين لفظين أو أكثر لابد من عناصر ثلاث تتوزع عبر الآتي:

1- الاشتراك في عدد من الحروف وهي في اللغة العربية ثلاثة.

2- أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيبا واحدا في هذه الألفاظ.

3- أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الأصل.

ومن ثم ستساهم هذه الطريقة في توليد الألفاظ بعضها من بعض.

أنواع الاشتقاق:

حصر علماء اللغة الاشتقاق في أربعة أنواع وهي:

أ- **الاشتقاق الصغير:** هو أن تشتق من الفعل (كسر) مثلا صيغا أخرى نحو: كاسر، ومكسور، وانكسر...وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق. والأمثلة المتعددة تشير إلى أن أهل اللغة اشتقوا من أسماء الأمكنة والأزمنة، ومن أسماء الأصوات وغيرها؛ فنجدهم مثلا: اشتقوا من الأسماء الدالة على أعضاء الإنسان الكثير، فمن الرأس: رأَسَه، ومن الإبط: تأبَّطَ، ومن الضلع: تضلَّعَ. كذلك اشتقوا من الأسماء الدالة على القرابة، فالتبني من الابن، والتأبي من الأب، والمباعلة من البعل.

إن الغاية من هذا الاشتقاق كما يرى إبراهيم أنيس هو التوسع في اللغة لما يستحدث من معان، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي (من أسرار اللغة/ 47).

ب- **الاشتقاق الكبير:** تقوم اللغة العربية على حروف ثلاثة أصلية، وهي العنصر الثابت فيها على اختلاف صورها وأبنيتها، وقد أطلق علماء اللغة على هذه الأصول الثلاثة ولا سيما في المعجم مصطلح المادة. فالمادة الأصلية على هذا الأساس تتألف من حروف ثلاثة، لكن هذه الحروف الأصول قد يختلف ترتيبها عن طريق القلب فتتألف من ذلك صور محتملة لكلمات تشترك في الحروف من غير مراعاة للترتيب، وتتقارب في المعنى تقاربا كبيرا، وعلى هذا يكون الاشتقاق الكبير نوعا من القلب المكاني. وتبعا لذلك؛ فإن هذا النوع من الاشتقاق ليس إلا بابا من باب القلب أي تقاليب الجذور في مجال دلالي معين بحيث ترتبط المعاني ببعضها ارتباطا مطلقا غير مقيد بترتيب، نحو: جبذ وجذب، وأيس ويئس، وحمد ومدح. نجد أمثلة وافرة في كتاب (الخصائص) لابن جني، ومعجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، و(الجمهرة) لابن دريد. وقد اعتبر علماء اللغة هذا النوع من الاشتقاق قليل الفائدة في تنمية اللغة ومدها بالألفاظ الجديدة قياسا بالأنواع الأخرى.

ت- **الاشتقاق الأكبر:** يختص بظاهرة الإبدال، إلى جانب العلاقة التي تجمع بين كلمتين المشتقة إحداهما من الأخرى، بحيث تتميز بالمحافظة على الأصول، وترتيب الأصول والمعنى الجامع، نحو: عنوان وعلوان، ففي الثانية أبدلت اللام من النون في الكلمة الأولى، لتناسب النون واللام في المخرج. وعرف بأنه نوع من تقارب الحروف لتقارب المعاني. ومن أمثلة هذا النوع أيضا: قشط الجلد وكشطه، كبح الفرس وكمحه، أراق وهراق. يندرج هذا النوع ضمن الإبدال الصوتي الذي لا ينبغي أن يعالج على المستوى الصرفي، لتطبيق قواعد صواتية لا اشتقاقية.

الاشتقاق الكبار أو النحت: هو أن تنتزع كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الأصل التي انتزعت، فالنحت أقرب إلى الاشتقاق من النوعين السابقين «لأن فيه توليدا لفرع من أصل، ولا يتمثل الفرق بين النحت

والاشتقاق الصرفي إلا في أن النحت يكون من كلمتين أو أكثر، على حين أن الاشتقاق الصرفي يكون من كلمة واحدة أي مما اصطلحوا على تسميته بالمصدر»[3] ومن هنا تظهر أهمية النحت في التعبير عن معنى جديد.

يقول السيوطي: "الاشتقاق أن تجد بين اللفظين مشاركة في المعنى والحروف الأصول، أما المشاركة في المعنى فلأنهم لا يجدون الوجد والموجود من باب الاشتقاق، وأما المشاركة في الحروف الأصول؛ فلأنهم لا يقولون: إن الكاذب والمائن من أصل واحد، وأما التغيير من وجه فلابد منه، وإلا كان هو إياه" (الأشباه والنظائر، 1/ 56).

يرى تمام حسان أن بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة في أصول ثلاثة معينة؛ فتكون فاء الكلمة وعينها ولامها فيهن واحدة، وهذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم (الاشتقاق)، وفي المعجم تحت اسم (الاشتراك في المادة). (اللغة العربية معناها ومبناها/ 166). والاشتقاق حسبه دراسة صرفية مسوقة لخدمة المعجم، كما كانت المباني والزيادات والملحقات دراسة صرفية مسوقة لخدمة النحو. (169).

لقد حاول اللغويون العرب التراثيون وضع حدود فاصلة بين التصريف والاشتقاق، لكنهم خلطوا بين الزوائد التي تكون لغرض اشتقاقي، وتلك التي يسند لها دور صرفي أو نحوي في الكلمة. يتضح ذلك بالوقوف عند نص ابن جني الذي يقول فيه: "معنى قولنا (التصريف) هو أن تأتي إلى الحروف الأصول...فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرف فيها والتصريف لها، نحو قولك (ضَرَب)، فهذا مثال الماضي، فإن أردت المضارع قلت (يَضْرِب)، أو اسم الفاعل قلت (ضارِب)، أو المفعول قلت (مَضْروب)، أو المصدر قلت (ضَرْبا)، أو فعل ما لم يُسَمَّ فاعله قلت (ضُرِبَ)، وإن أردت أن الفعل كان أكثر من واحد على وجه المقابلة قلت (ضارَبَ)، فإن أردت أنه استدعى الضرب قلت (استضرب)، فإن أردت أنه كثَّر الضرب وكرره قلت (ضرَّب)، فإن أردت أنه كان فيه الضرب في نفسه مع اختلاج وحركة قلت (اضطرب)، وعلى هذا عامة التصرف في هذا النحو من كلام العرب. فمعنى التصريفِ هو ما أريناك من التلَعُّب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها، وغيرِ ذلك". (التصريف

الملوكي/ 2-4). نجد في النص مساواة بين زيادتين؛ واحدة لغرض اشتقاقي مثل (استضرب) التي تفيد الطلب، و(ضارب) التي تفيد المشاركة، وبين الزيادة لغرض نحوي كحروف المضارعة. ومجال التصريف عنده يشمل النوعين.

لكن الدراسات اللسانية الحديثة ترى أن الزيادة الاشتقاقية تتصل بالظواهر المعجمية، بينما تحيل الزيادة الصرفية على المقولات النحوية كالتطابق والعدد والزمن. (الفاسي الفهري، البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، 1990).

إن النحاة القدامى حين يتحدثون عن التصريف، يثيرون علاقته بالنحو من جهة، وبالاشتقاق من جهة ثانية. يقول ابن جني: "وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا، لأن التصريف إنما أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى. مثال ذلك أن تأتي إلى ضَرَبَ، فتبني منه مثل جعفر، فتقول: ضَرْبَب [...] وكذلك الاشتقاق أيضا، ألا ترى أنك تجيء إلى الضرب الذي هو المصدر، فتشتق منه الماضي، فتقول : ضَرَبَ..." (المنصف، ج1/ 3 وما بعدها).

إن الاشتقاق بأنواعه المختلفة يركز على العلاقة المعنوية التي تربط بين كلمات تتشارك في الأصول كلها أو بعضها. فلا حديث عن الاشتقاق إذا لم يكن هناك معنى مشترك أو قريب، كما أكد ابن جني في حديثه أن "معنى (قول) أين وُجدت، وكيف وقعَت، من تقدم بعض حروفها على بعض، وتأخره عنه، إنما هو للخفوف والحركة. وجِهات تراكيبها الست مستعملة كلها، لم يهمل شيء منها. وهي: قول، قلو، وقل، ولق، لقو، لوق".(الخصائص، ج1/ 5). في حين يركز التصريف على العلاقات الصورية ودون أخذ المعنى في أغلب الأحيان في الحسبان، كما في حالات الإعلال والإدغام مثلا. فهذا تفريق جوهري بين التصريف والاشتقاق.